ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 09 العدد: 03 (2023) ص73/60

مفارقة الحضور والغياب في شعر عدنان الصائغ (مجموعة "و..." نموذجاً)

The irony of presence and absence in the poetry of Adnan Al-Sayegh ("And" collection as a model)

عاطفة عطشاني*	خيرية عچرش	أحمد جابري نصر
جامعة أمير المؤمنين، أهواز (إيران)	جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز (إيران)	جامعة أمير المؤمنين، أهواز (إيران)
a.atshani1397@gmail.com	Echresh.kh@scu.ac.ir	Ahmadjaberynasr@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2023/07/25

تاريخ القبول: 2023/08/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المفارقة
- ✓ عدنان الصائغ
- ✓ مجموعة "و"
- ✓ الحضور
- ✓ الغياب

الملخص:

المفارقة من أبرز وأهمّ التقانات البلاغية في الدراسات النقدية الحديثة، إذ تتيح للأدباء الدخول إلى عالم النص الأدبي والغور في معانٍ جديدة، وتقوم بعدة وظائف تختلف مستوياتها من نصّ إلى آخر، ولا يمكن إدراك طبيعة النصّ الأدبي ودلالاته دون فهم مصطلح المفارقة واستيعاب ردوده. ورغم وجود عدة أنواع من المفارقة إلا أنّ معظم الدراسات قد اقتصرت حول المفارقة اللغوية، وقد امتلأت نصوص عدنان الصائغ بأنواع عديدة منها، سيما التصويرية. تكمن أهمية هذا البحث في دراسة مجموعة "واو" في شعر عدنان الصائغ؛ وتحاول التطرّق إلى موضوعات عديدة، أبرزها مفارقة الحضور والغياب، إذ تظهر معظم هذه الثيمات ممزوجة بالمفارقة التصويرية. وفي النهاية ستطرّق الدراسة لتحليل النصّ السردي مع ذكر التقانات المستخدمة والتركيز على استعمال الشاعر هذا النوع من المفارقة وستكون الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي- التحليلي.

Article info

Received 25/07/2023

Accepted 07/08/2023

Keywords:
- ✓ *Irony*
- ✓ *Adnan Al-Sayegh*
- ✓ *wow collection*
- ✓ *Presence*
- ✓ *Absence*

Abstract :

Irony is one of the most prominent and important rhetorical techniques in modern critical studies, as it allows writers to enter the world of the literary text and delve into new meanings, and it performs several functions whose levels differ from one text to another. Although there are several types of irony, most studies have been limited to linguistic irony, and Adnan Al-Sayegh's texts are filled with many types of them, especially pictorial ones. The importance of this research lies in the study of the ""And" collection in the poetry of Adnan Al-Sayegh; It tries to address many topics, notably the irony of presence and absence, as most of these themes appear mixed with the pictorial irony. In the end, the study analyzes the narrative text, mentioning the techniques used, and focusing on the poet's use of this type of irony. The study is done according to the descriptive-analytical approach.

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

١. مقدمة:

تعدّ المفارقة من أجمل العناصر البلاغية وهي تقانة تعبيرية ذات طريقة خاصة وقد تميّز بعض الكتّاب المعاصرين باستعمالهم الصور المختلفة لاسيّما الشاعر عدنان الصائغ حيث استعمل أنواع المفارقات اللغوية والسياقية والدراما وكذلك التصويرية التي قال عنها عشري زايد أنها «تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض»[١] ومن هذا المنطلق وبناءً على أهمية هذا القسم من أنماط المفارقات ودلالته البلاغية الخاصة لقد اعتمدنا لهذا البحث أسلوب تطبيق (مفارقة الموقف) في شعر عدنان الصائغ عبر دراسة مجموعته "و..." التي زخرت بهذا النمط من المفارقة، مما أعطت لها جمالاً ولغة حديثة.

مما شكّ فيه أن المفارقات التي استعملها الشاعر عدنان الصائغ في قصائده كثيرة، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تتطرّق إلى جميعها، إذ هناك مفارقة سياقية، وهي تشمل الصرف والنحو والتقديم والتأخير، وهناك مفارقة الموقف ومفارقات عدة مثل المفارقة اللغوية، لكن ما يريد البحث التأكيد عليه هو مفارقة الغياب والحضور اللذين اكتسحا معظم قصائد الشاعر، ومن خلال التطرّق إلى هاتين المفارقتين، سوف نسلّط الأضواء حول أنواع المفارقات المستعملة في شعر عدنان الصائغ، ولكي يتم تبيين مدى فاعلية المفارقة في شعر عدنان، سيركّز البحث حول التقانات الحديثة التي استعملها الشاعر وهي لم تكن غير متصلة بالبحث الأصلي، من الانزياح الذي هو أشمل من المفارقة.

١.١ أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة التالية:

١- أي نوع من أنواع المفارقة في مجموعة "و..." عند عدنان الصائغ؟

٢- ما هي الثيمات التي استخدمها عدنان الصائغ في مجموعة "و..." كمفارقة لغوية؟

٣- ما هي المضامين الشعرية التي استخدمها الشاعر لتبيين مفارقة الحضور والغياب؟

٢.١ فرضيات البحث

فرضيات البحث هي:

١- يبدو أن الشاعر عدنان الصائغ قد استخدم عدة مفارقات، كالمفارقة التصويرية والدراما والمتنافرة كمفارقة للموقف.

٢- يلاحظ أن الشاعر عدنان الصائغ استخدم ثيمات عديدة، لاسيما ثيمة الموت والاغتراب حيث طغت هاتان الثيمتان على باقي الثيمات.

٣- يبدو للحضور والغياب الدور الأساسي في المضامين الشعرية التي استخدمها الشاعر ولهذا ركّز البحث على الموضوعين كمحورين أساسيين للبحث.

١- عشري زايد، علي، (٢٠٠٨م)، بناء القصيدة العربية الحديثة، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ص ١٣٠.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

٣.١ الدراسات السابقة:

ثمة دراسات عديدة حول المفارقة وأنواعها، وما يختلف عنها مع هذه الدراسة أن عدنان الصائغ قد استعمل المفارقة التصويرية مع تقانات حديثة، مضيفاً عليها صوراً جديدة، وحاول البحث أن يضفي ذلك عبر التحليل؛ من الدراسات السابقة التي يمكن الإشارة إليها:

-كتاب (شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقّي) لنعيمة سعدية بجامعة محمد خيضر بالجزائر إذ أشارت إلى أنواع المفارقات ودرستها بشكل نقدي يختلف عن دراستنا التي تسلّط الضوء حول كشف المفارقة التصويرية.

-كتاب تحت عنوان (المفارقة في الشعر العربي الحديث بين سلطة الإبداع ومرجعيّة التنظير) لصليحة سبقاق بجامعة سطيف الجزائر، إذ قامت بإعطاء نماذج عن المفارقات بمنهج التحليل والتطبيق.

-جماليات المفارقة الشعرية عند محمود درويش، رسالة ماجستير، نوال بن صالح: قام في الفصل الثاني بدراسة المفارقة التصويرية في قصائد محمود درويش ومن ضمنها مجموعة الجدارية. لكنه لم يخصّص جانباً كبيراً للجدارية، ولم تكن دراسة مستقلة.

– مقال بعنوان "المفارقة التصويرية في الشعر السياسي عند نزار قباني" لعدنان أشكوري وآخرين؛ ويحاول المقال التطرّق إلى التنافر بين الكلمات والتناقض الموجود بين التراث والحداثة وركّزت حول أنواع المفارقات التي استعملها نزار قباني في شعره، وعن أفكار ورؤى نزار السياسية والفكرية والغموض الذي حلّ به خاصة استعمالها عبر مفارقة تصويرية لا تخلو من جمال اللغة. لكن ما يتطرّق إليه بحثنا هو حول الواقع والخيال والحضور والغياب التي لم يؤكّد عليه المقال.

ومن أبرز البحوث التي قامت بدراسة شعر الصائغ وتحليلها نذكر:

– رسالة ماجستير تحت عنوان "المضامين الاجتماعية والسياسية في عدنان الصائغ" للطالبة راحلة محمودي في جامعة إصفهان عام ١٣٩١ش. شرحت الطالبة في هذه الدراسة نصوص الصائغ التي تشير إلى الأحوال السياسية والاجتماعية السائدة في العراق.

– رسالة أخرى معنونة بـ "الغربة والحنين في شعر عدنان الصائغ" للطالبة آمنة آبكون في جامعة خليج فارس، بوشهر عام ١٣٩٤ش. بيّنت هذه الرسالة مواطن الغربة والحنين والبواعث التي ساهمت في الإفصاح عن الحنين إلى الوطن كالقضايا السياسية والاجتماعية.

– مقال موسوم بـ "دراسة النستولوجيا في شعر عدنان الصائغ، أنموذجاً ديوان "مرايا لشعرها الطويل"و"سماء في خوذة" للباحث على خضري وآخرين تم نشره في مجلة نقد "أدب عربى معاصر" في جامعة يزد عام ١٣٩٥ش.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

٤.١ أهداف البحث

من أهداف البحث الأساسية إعطاء فكرة عن المفارقة بصورة عامة والشعر المعاصر الممزوج بالتقانات الحديثة والبلاغة الجديدة، واكتشاف جماليات النصّ الحديث.

٥.١ حياة الشاعر

عدنان الصائغ شاعر عراقي وُلد في مدينة الكوفة، في العراق عام ١٩٥٥م، في بيت صغير قريباً من نهر الفرات. ويُعدّ الصائغ من أهمّ الشعراء المعاصرين، ومن أكثرهم إثارة للجدل، ويرجع الفضل في ذلك بدرجة عالية إلى تصميم وشجاعة الشاعر في تدوين القصائد التي تنمّ عن وعي وفطنة وروح متمرّدة لا تبالي بما حولها من هيمنة للجو السياسي والاجتماعي المتشنج في العراق[١].

٢. التمهيد النظري

ثمة مفارقات كثيرة في الأدب وقد استعمل الأدباء العرب جميعها، وكثيراً ما نرى المفارقة اللغوية، لاسيما المفارقة التي تأتي على سياق أوكسي مورون، لكن قلّما يستعمل القاصون والقاصات المفارقة التصويرية لصعوبتها، في الحقيقة للمفارقة معانٍ وآفاق كثيرة وهناك الكثير ممن تطرّقوا إلى معانيها ودرسوها، لكن كمصطلح يقول الكاتب عزّت محمد جاد عنها: «هذا المصطلح له جذوره الضاربة في أعماق الحضارة اليونانية ومروراً بالرومانية، فعصر النهضة، فالعصر الحديث، وغير منحى وقوعه في ذاكرة التراث العربي، نجد أنه يتقلّب بين ذلك التماوج الحضاري حتى تعدّدت تصوراته وفق اختلافات التواطؤ والشيوع ولما يزل يعمل بكل منها في كل سياق على حده»[٢] في الحقيقة لا نريد من خلال هذه الدراسة أن نعطي تعريفاً حول الاصطلاح، بل نريد الكشف عن التنافر الموجود في اللغة وكشف المفارقة التصويرية التي استعملتها زينب جاسب ولربما تكون هي عملية تسلّل كما يقول اليوسفي: «تتجلّى عملية تسلّل هذه الرؤية، الخروج عن القديم، إلى الخطاب النقدي العربي المعاصر وإلى الممارسات الشعرية التي نذرت نفسها لتخطّي القديم ومنجزاته في طرح مقولة الالتزام واعتبارها أمارة على الجدّة والحداثة والابتداء»[٣]، و كثيراً ما استعمل عدنان الصائغ الدراما كذلك في قصائده لكننا لم نسلّط الضوء عليها بل نشير إليها بصورة عابرة، لأنّه كما يقول ميويك «الشاعر الدرامي خالق عالم صغير، يحكم فيه من دون منازع، يقدّر مصائر مخلوقاته الخيالية التي يمنحها الحياة والروح طبق ما يختار من سبيل... المفارقة الدرامية المفارقة التي

١- دريانورد، زينب ورسول بلاوي، (٢٠١٨م)، الكاميرا الشعرية في قصائد عدنان الصائغ الملتزمة، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ٢، ص٥٢

٢- جاد، عزت محمد، (٢٠٠١م)، نظرية المصطلح النقدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٤١٢.

٣- اليوسفي، محمد لطفي، (٢٠٠٥م)، كتاب المتاهات والتلاشي: في النقد والشعر، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ١٧١.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ينطوي عليها كلام شخصية لا تعي أنّ كلامها يحمل إشارة مزدوجة: إشارة إلى الوضع كما يبدو للمتكلّم. وإشارة لا تقل عنها ملاءمة، إلى وضع كما هو عليه وهو الوضع المختلف تماماً مما جرى كشفه للجمهور»[١].

يقول ميويك «صار وضع الأضداد جوار بعضها، عرضياً أو عن غير قصد، يعدّ في باب المفارقة ... ويحصل بشكل طبيعي، مثل تجاور في السياق الطبيعي بين إنسان عاقل وقرد ضاحك»[٢].

وقسّم ميويك المفارقة إلى الأنماط الآتية:

١_ التنافر البسيط: تتحقّق حين يكون تجاوراً بين أمرين يحكمهما تنافر شديد.

٢_ مفارقة الأحداث: هناك تعارض بين ما نتوقّعه وما سيحدث.

٣_ المفارقة الدرامية: تتحقّق عندما يعرف المراقب ما لا تعرفه الضحية.

٤_ مفارقة خداع النفس: يكتشف الشخص على غير هدى ضعفه أو غفلته بما يقوم به وليس بما يحصل عليه.

٥_ مفارقة الورطة: يكون ضمن التناقض الظاهري أو شكل الورطة والقضايا الشائكة[٣].

في الحقيقة يريد الشاعر عدنان أثناء المفارقة التصويرية أن يأتي بشيء مختلف، وبلغة غير مألوفة، متنافرة الأفكار والكلمات وهذا لم يكن يحصل إلا بلغة متأرجحة بين الخيال والواقع والتناقض كما يقول عشري زايد:

«إنّ المفارقة تقوم على تظاهر المرء بكونه خلاف ما هو عليه، فصاحب المفارقة قد يقول شيئاً لكنه في الحقيقة يعني شيئاً مختلفاً تماماً. وعلى الرغم من أن شعرنا القديم قد عرّف صوراً من المفارقة التصويرية، وفطن إلى الدور الذى تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين، فيتجلّى معنى كل منها في أكمل صورة، ولخّص إدراكه لهذا الدور في تلك الحكمة المشهورة: والضد يظهر حسنه الضد»[٤].

هكذا نجد الكثير من الأمثلة في "واو" حيث تكون ممزوجة بالمفارقة التصويرية لابراز التناقض بين الأشياء والمفاهيم ليعطي الشاعر للقارئ جمال النصّ واللغة الحديثة المفعمة بالتقانات الجديدة.

في الحقيقة هي مراوغة لغوية و«المراوغة هي المفارقة اللغوية وهي عن طريق الألفاظ المستخدمة بكل الحيل ويكون مختلفاً من بين شخص وآخر حسب المهارات اللغوية والألعاب الذهنية»[٥].

ما يجعلنا نصنّف النصّ ضمن المفارقة التصويرية فيقول ميويك: «فثمة مفارقة مثلاً مفارقة عامة عن أحداث تقوم على حتمية الموت، وعدم امكان التنبّؤ عن الحياة أساساً وتواصل سلسلة السبب والنتيجة. عن مفارقة الموت لا تقوم على

١- ميويك، دي سي، (١٩٩٣)، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة المفارقة وصفاتها، الترميز، الرعوية، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، صص ١٥٧-١٥٨.

٢- المصدر نفسه، ص ١٤٨.

٣- المصدر نفسه، ص ١٨٩.

٤- عشري زايد، علي، (٢٠٠٨م)، بناء القصيدة العربية الحديثة، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ص ١٣٠.

٥- إبراهيم، نبيلة، (١٩٨٥م)، المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، ص ١٣٩.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

محض اعتقادنا الموضوعي بكوننا نموت يتعارض جذرياً مع رفضنا الذاتي أن الموت قد يصيبنا فعلاً... فثمة مفارقة أعمق في النظرة القائلة إن رفضنا الموت بشكل متهافت هو الذي يعيننا على الاستمرار في الحياة، كما أنّ الاعتقاد الفعّال بأنّنا سائرون نحو الفناء يقود إلى الاعتقاد بشكل فعّال بتفاهة الحياة»[١].

يقول دريدا عن العلامة هي شرخ للغة قائلاً: "لا ينبغي أن نتخلّى عن هذه المفهومات، سيّما وأنّها لا غنى عنها اليوم لرجّ الميراث الذي تشكل هي جزءاً منه. داخلا حدّ هذه الحقبة، وبحركة مائلة، حركةٍ دائمة المجازفة، ومغامرة من دون انقطاع بالسقوط أسفل الهيكل الذي تحاول تفكيكه، علينا أن نحيط المفهومات الحرجة أو المستدعية للنقد بخطاب حذر ودقيق، وأن نحدّد شروط ووسَط وحدودَ نجاعتها، وأن نثبت بصرامة، عائديتها إلى الآلة التي تمكّن هي من تفكيكها، وفي الأوان ذاته الشرخ الذي يسمح بأن نلمح ضمنه ذلك الوهج غير القايل للتسمية، وهج ماوراء الحدّ. وإن مفهوم "العلامة: لهو هنا انموذجي... وثيمية العلامة تمثّل منذ ما يقرب من قرن عمل احتضار تراث كان يزعم انتشال المعنى والحقيقة والحضور والوجود"[٢].

كما تقول غادة الإمام "فلا ريب في أن الماضي بأسره يتبعنا في كلّ لحظة: فكل ما شعرنا به وفكرنا فيه وأردناه منذ طفولتنا الأولى ماثل أمامنا، وباسط ذراعيه نحو الحاضر الذي سبق به، وضاغط على باب الشعور الذي يرغب لو تركه في الخارج، فما للحظة الحاضرة عند برجسون —إذن، كما يرى باشلار– إلا ظاهرة الماضي ولذا فإن الموجود يُنسج من قماشة الديمومة الدائمة. فماضينا يتبع حاضرنا؛ إذ يظلّ الماضي جوهراً للحاضر[٣].

٣. القسم التحليلي

١.٣ مفارقة الغياب في قصائد عدنان الصائغ

للغياب طعم مختلف عند عدنان الصائغ، لم يكن مثل غياب الشاعر محمود درويش، بل هو غياب من نوع الغربة، والضياع، لم يكن معنى للغياب، بل هو غياب حاضر في قلب الشاعر، لأنه يعيش الاغتراب ويقول:

صرير باب

ولا من جواب

هكذا

١– ميويك، دي سي، (١٩٩٣)، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة المفارقة وصفاتها، الترميز، الرعوية، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، صص ١٠٢.

٢– دريدا، جاك، (٢٠٠٠م)، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد وتقديم محمد علال سيناصر، ط٢، المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص ١١٤.

٣– الإمام، غادة، (٢٠١٠م)، جاستون باشلار: جماليات الصورة، بيروت، التنوير، ص ٨١ –٨٢.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سوف يمضي بنا الاغتراب[1]

يريد الشاعر خلال مجموعته الشعرية "و..." أن يصوّر نهاية ألمه من الاغتراب الذي جعله متأرجحاً بين الأشياء الغائبة والأشياء الحاضرة، ولكي نفصل بين الاثنين، في البداية يحكي البحث عن مفارقة الغياب مثلما يقول عن بلاده:

ما الذي أصنعه الآن

هم حاصروني بلاداً وأفقاً

وسدّوا بوجه القصيدة كل النوافذ

وأشرب نخب الغياب

دمعة وكتاب[2]

قبل أن يبدأ البحث بالحديث عن هذه الكلمات لابد للإشارة بأنّ الشاعر لم يذكر كلمة "الكتاب" هنا كمفردة تدعو للغياب والاغتراب بل ذكره بصورة مباشرة في هذه المجموعة حيث يقول:

الكتب التي في غرفتي

بماذا تتحاور

في غيابي[3]

وما يقصده البحث من ذكر هذه الكلمات، إنّ الشاعر يحاول أن يعطي للكتاب أهمية كبيرة في اغترابه، وكأنّ الكلمات هي التي باتت غائبة وجعلته متأرجحاً بين الحضور والغياب، ليخلق للقارئ هذه المفارقات. اما بالنسبة للقصيدة تظهر مفارقة الغياب حين يقول "أشرب نخب الغياب" لو كان الغياب غياباً فكيف يمكن للشاعر أن يتذوّقه، وفي الحقيقة يريد الشاعر أن يرسم للقارئ، لوحة ممزوجة بالغياب وحضوره الذي يشعر به بالحواس الخمس، انه يراه ويتلمّسه وينظر إليه وبالتالي يتذوّقه، مثل دمعة تنساب من عينه، وتسيل ويشعر بها، أو مثل كتاب يصفّحه ويقرأ ما في داخله من نصوص.

ولكي يبيّن الشاعر للقارئ الغياب الحاضر كمفارقة لغوية يقول:

لكأنّي

أراهم وراء الجدار

وقد دارت الخمر فيهم وداروا

يثيرون بالردح حولي الغبار

فإن قمت للرقص

طار

١- الصائغ، عدنان، (٢٠١٥م)، مجموعة و...، بغداد، دار الرسوم، ص ٧١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٨.

٣- المصدر نفسه، ص ٧٣.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

رررررر

ر

و...

طارواااااا

اا

ا[1]

ربما اتخذ الشاعر عنوان قصيدته من حرف (و...) في هذه القصيدة التي عنوانها "هم" وفي الحقيقة هو لم ير أحداً، بل يتخيّل أنه يرى أبناء بلاده، لأنّ في نهاية القصيدة يقول إنهم يطيرون من أمامه وما أن ينهض حتى يراهم متطايرين ومتغيّبين. وهنا تحصل مفارقة الدراما، حيث لا يمكنه أن يرى ما يتخيّله حاضراً معه، ولكنّه يشعر بالغياب الطاغي في المحفل. إذن يبقي الشاعر أمام مفارقتين، مفارقة الحضور الخادع، والغياب الخادع، الغياب الذي يكون حاضراً أكثر من الحضور الذي يهرب من أماه ويطير ويغيب.

كثيراً ما ينتقل الشاعر من الشيء الحاضر إلى الغايب الذي يشبه الأحلام أو ما يشبه الشيء الضائع كما يقول:

سأعبر

شوارع القصيدة حافياً

وحيداً

وأتسوّل الأحلام من الكتب والأرصفة

وأتلمّظ القبلات من شفاه العابرات

ملوّحاً بذراعيّ الذابلتين

لسنواتي التي تجهش بمقاعدها الفارغة[2]

هنا يحاول الشاعر في البداية أن يبيّن للمتلقّي الحضور، حضوره وهو يمشي في الشارع، حافياً ويريد العبور، لكن ينتقل بسرعة إلى الاحلام، وكأنه ما يقوله لم يكن حاضراً وواقعياً، وهو الآن يتسوّل الأحلام من الكتب، لكنّه بمهارة، يضيف على الكتب مفردة "الأرصفة" حتى يمزج بين الحلم والواقع، كي تتصل الأرصفة بالشوارع، والقبلات وشفاه العابرات، بعدئذ يعود للأعوام الماضية ويذكر بكاءه ومآسيه، وهنا تحصل مفارقة متنافرة بكلماتها ومتداخلة بأزمانها. ويمكن القول بأنّ الشاعر تلاعب بالزمن كاسترجاع زمني، عاد للماضي ومزجه مع الحاضر. وفي الاسترجاع يعود الشاعر من خلال ذاكرته إلى الزمن الماضي أي الزمن الذي يكون قبل بداية القصة وذلك بغية إيجاد مفارقة بين الماضي أي زمن القصة

١- المصدر نفسه، ص ١٨- ١٩.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٦.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والحاضر أي زمن السرد. يقول لطيف زيتوني في تعريفها: «مخالفة لسير زمن السرد تقوم على عودة الرواي إلى حدث سابق وهو عكس الاستباق، وهذه المخالفة لخط الزمن تُولد داخل الرواية نوعاً من الحكاية الثانوية».[1] لأنَّها داخل الحكاية الأولى التي بُني عليها النص السردي، وأمّا حول وظائف الاسترجاع فهي تخدم السرد وتطوّره.

يقول حسن بحراوي في هذا الصدد: «ملء الفجوات التي يخلّفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو باطلاعنا على حاضر شخصية، اختفت عن مصدر الأحداث ثمَّ عادت للظهور من جديد».[2] أي أن الاسترجاع يزيل الغموض من الجوانب المظلمة للنصّ من خلال إلقاء الضوء عليها، كما أنَّه يزيل الغموض عن الشخصيات نفسها وبذلك يقدّم دلالات عميقة.

هذا وللغربة دور مهم في قصائد عدنان الصائغ، ويمكن القول إن قصائد مجموعة "و..." مثقلة بالغربة، وعزلة لشاعر، واغترابه في مدينة لندن، وهو يحاول أن يتذكّر بلده وسط شوارع لندن، لكنه يتفاجئ بغياب العراق، حتى في النخيل المشتول هناك، مثلما يقول:

أخذتني المدينة: لندن...

ما لي

أمرّ علي جسرها

فأرى نهر دجلة

مختضباً

والنخيلات مثقلة بالغياب[3]

لا يستطيع الشاعر أن يترك كلمة "الغياب" ولا يذكرها في هذه العبارات، وتحصل المفارقة حين يقول (النخيلات مثقلة بالغياب) ليجعل القارئ متسائلاً؛ كيف يمكن لشيء مثقل بغياب، ولاشك هنا تحصل مفارقة لغوية، وهل يمكن أن نقول الظرف ممتلئ بالغياب أو مثقل بالغياب؟ لاشك في الشعر يمكن ذلك، وهذا هو سرّ جمال قصائد عدنان الصائغ.

يستعمل الشاعر في قصيدة "ما ...وإلخ" نوعاً آخر من الغياب، وكأن الغياب يدعو يتفتح زهوراً أو تظهر صوراً كما يقول:

تورق في غيابك المشتهي

زهرة

أو شفق

آه يا جسدي

١- زيتوني، لطيف (٢٠٠٢م)، معجم مصطلحات نقد الرواية، الطبعة الأولى، لبنان، دار النهار للنشر والتوزيع، ص ١٨.

٢- بحراوي، حسن (٢٠٠٩م)، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمان-الشخصية)، الطبعة الثانية، المغرب، المركز الثقافي العربي، صص١٢١-١٢٢.

٣- الصائغ، عدنان، (٢٠١٥م)، مجموعة و...، بغداد، دار الرسوم، ص ٣٩.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

آه يا لغتي

شتّتني الطرق[1]

كيف يمكن للزهرة أن تورق عن طريق الغياب، لو لا خيال الشاهر هو من يقول بهذه النسيج، وهو ما يقوم باتصال الغائب مع الحاضر، والأشياء المحسوسة بالأشياء غير المحسوسة.

٢.٣ مفارقة الحضور في قصائد عدنان الصائغ

طالما يتذكّر الشاعر ملامح من طبيعة بلاده وهو في الغربة، او ملامح من حبيبته، ويحسّها حاضرة، لكنها غائبة ليشكّل مفارقة بين الحاضر والغائب كما يقول:

رأيت لثغرك يفترّ عن خجل وأقاح

أترين لثغري كيف تلمّظ

تعتعت دون راح

وكيف استراحت يداي علي خصرك البان[2]

الشاعر كان في بداية القصيدة يحكي عن حضوره في لندن، لكن فجأة يتذكّر حبيبته ويحكي وكأنّها حاضرة، وهنا تتشكّل مفارقة الحضور، بأن الشاعر يحكي عن شيء قريب إليه وحاضراً، لكنه في الأساس يكون بمخيلته وغائباً، وأجمل ما يصوّر مفارقة الحضور في هذه الكلمات الآتية:

تموّهني الهمهمات

فأصعد نحو المنصّة

ماذا سأقرا؟

....

خصرك مازال بين يدي يتأوّد

بين المديد

وبين الهزج

...

...

هل قلتُ شعراً!!!

فلماذا، إذاً، صفّق الحاضرون؟[3]

١- المصدر نفسه، ص ٤٢.

٢- المصدر نفسه، ص ٤٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٣.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في الحقيقة يمزج الشاعر بين حضوره في الأمسية الشعرية وحضور حبيبته التي ترافقه وترافق خياله ولا يستطيع التخلّص منها ويبقى ذهنه معها، مما لا يدري أنه قرأ قصيدته أم لا، ولربّما يقصد الشاعر أنّ حبيبته هي هذه الكلمات التي أنشدها، حيث يكون حضور حبيبته طاغياً، لكنّه غير حقيقي، وحضوره هو بات غائباً، بل باتت قصيدته كذلك غائبة، وقد أشار إليها بنقاط.

ربما الحضور يصبح مثل الشيء المسكون في البيت، أو المسكون في الجسد، لكنه غير حقيقي، ولا واقع له، وهذا ما يريد البحث أن يصوّره في قصائد عدنان الصائغ، كمفارقة لغوية او مفارقة تصويرية، لاسيما حسين يقول:

بلتفت المارّة مذهولين
لمرأى رجلٍ
برقص في الطرقات
وحيداً
تحت نثيث الثلج المتساقط
مسكوناً بامرأة من موسيقى
لا يدري
أين هي الآن[1]

يصوّر الشاعر حضور المرأة هنا بصورة مذهلة ويقول إنّها مسكونة في جسد الرجل، وكما هو معروف بمصطلح "المسكون" بانه غير واقعي، وربما يكون خيالي، أو كالخرافة، أو مثل الجنّ إلى يسكن البيت أو الجسد، ولا يمكن الحديث عنه بجرأة بأنّه حقيقي وواقعي، وهذا ما يريد البحث نقاشه، بأنّ الشاعر عدنان يجعل القارئ متأرجحاً بين الحضور والغياب، مرة عبر الغياب الحاضر ومرّة عبر الحضور الغائب ليرسم للمخاطب مفارقة، سمّاها البحث بمفارقة الحضور والغياب.

يحاول الشاعر أحياناً عبر اللون يبيّن حضور الشيء، لكن هل يكون هذا اللون حقيقياً أم هو غير حقيقي، مثلما يقول:

السماء رمادية هنا
وروحي خضراء
أشعلها الوهم
وتلك البلاد البعيدة سخّمها المدفعيون
السواد الذي كان خصباً
صار سواداً وجدباً
وما ظلّ من إرثنا في البلاد

١- المصدر نفسه، ص ٥٤.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سوى إرثنا في الحداد[1]

قد تلاعب الشاعر بالألوان ومزج اللون الرمادي والأخضر والأسود وبالنهاية لا يمكن اعتبار أي لون حقيقي للموصوف الذي ذكره الشاعر، ويمكن القول إن الشاعر أراد أن يأتي بهذه الألوان من أجل إعطاء فكرة تدور بذهنه، لهذا تصبح مفارقة الحضور والغياب، لاسيما بالشيء الذي يحضر أمامنا لكنه غير حقيقي، لكن الشعر يعطي هذا المجال للشاعر كي يقول بمفارقة لجمال الكلمات واعطاء تعبيرات مذهلة تمتّع القارئ وتعطي ميزة للشعر. وتشتدّ مفارقة الحضور حين يأتي الشاعر بمفارقات لغوية مثلما يقول:

«عزلتي

اكتظاظ

داخليٌّ»[2]

كيف يمكن للعزلة أن تكون مكتظة؟ وكيف يمكن تصوير ذلك، خاصة حين يضيف عليها شحنة مضادة أخرى ويقول "داخليّ" ليضيف جمالاً آخر على المفارقة ويستمر قائلاً:

لستُ وحيداً

وحدتي

معي[3]

هنا باتت المفارقة أكثر شدّة، وقريبة للسفسطة، لو أردنا الحديث عنها بالمنطق، لكن في الشعر هي مقبولة، وتعطي جمالاً للصورة الشعرية والفنية. لأنّ هذه الوحدة هي حاضرة مع الشاعر، يريد تبيين الحضور الذي يرافقه، لكن في الحقيقة هو ليس حضوراً بل غياباً كما يستمر قائلاً:

وحدتي

ملئية بالنوافذ

أطلّ منها عليّ[4]

مفارقة تصويرية يصوّرها لنا الشاعر وتكون موافقة ومتصلة مع مفارقاته السابقةحول الوحدة والحضور الذي يرافق وحدته وهو يضيف أمراً آخر وهو الاشراف على النفس، مما يجعل المفارقة تكون عكسية.

وهكذا ينهي مفارقة للحضور الطاغي غير الحقيقي ويقول:

ثمل ولا خمرة

١- المصدر نفسه، ص ٥٥.

٢- المصدر نفسه، ص ٧٥.

٣- المصدر نفسه، ص ٧٥.

٤- المصدر نفسه، ص ٧٦.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقيم ولا وطن

مغروم ولا خليلة ولا ناي

هادئ

وأحسّني أضطرم[1]

لم يتوقّف الشاعر في إعطاء صور عديدة للمتلقّي عن المفارقات التي يعيشها مع نفسه، هذه النفس التي تتعايش الحضور والغياب معاً، كأنه مقيمة لكنها بلا وطن، تشعر بالأرض بالطبيعة بالبلاد وبالناس، لكن في الحقيقة كل هذه الأشياء تعيش معها ولا حقيقة لها وليست قريبة إليه، لأنّه يعيش الغربة.

٤. النتائج:

توصّل البحث خلال دراسة مجموعة "و..." الشعرية للشاعر عدنان الصائغ، إلى عدة نتائج وأهما كالآتي:

١- استعمل الشاعر عدنان الصائغ عدة مفارقات في قصائده، ويمكن القول إنّ مجموعته الشعرية هذه تستحق أن تُدرس في جمع مجالات المفارقة، لاسيما المفارقة اللغوية، لأنّ الشاعر استعمل الكثير من المفردات المضادة، وقد استعمل المفارقة التصويرية والدراما والمتنافرة كمفارقة الموقف كثيراً، وكل واحدة من هذه المفارقات يمكنها ان تُدرس بصورة مستقلة.

٢- استخدم الشاعر ثيمات عديدة في قصائده مثل ثيمة الموت والاغتراب والضياع والحرب والأرض، لكن سلّط البحث حول ثيمة الحضور والغياب باعتبارها ثيمة طاغية في المجموعة وشملت معظم قصائد المجموعة الشعرية. التقابل بين ثنائية الحضور والغياب أدّى إلى تشكيل المفارقة في نصوص الشاعر، لفاعلية هذه الثنائية من جهة، وامتزاجهما معاً من جهة أخرى.

٣- من المضامين الشعرية التي شملت مفارقة الحضور والغياب هي ما تخصّ الوطنية عند الشاعر وحبّه الجارف لأرضه وبلاده. فالشاعر للتعبير عن وطنه، وتفاعله مع الأحداث، يرى نفساً حاضراً غائباً أحياناً، وغائباً حاضراً أحياناً، فعلى الرغم من اغترابه إلّا أنّه مازال يتعايش مع الأحداث بكلّ قواه وجوارحه.

١- المصدر نفسه، ص ٧٦.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

٥. قائمة المراجع:

- إبراهيم، نبيلة، (١٩٨٥م)، المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، الصفحات 132 - ١٥٦.
- الإمام، غادة، (٢٠١٠م)، جاستون باشلار: جماليات الصورة، بيروت، التنوير.
- بحراوي، حسن (٢٠٠٩م)، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمان-الشخصية)، الطبعة الثانية، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- جاد، عزت محمد، (٢٠٠١م)، نظرية المصطلح النقدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- دريانورد، زينب ورسول بلاوي، (٢٠١٨م)، الكاميرا الشعرية في قصائد عدنان الصائغ الملتزمة، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ٢، صص ٤٧-٦٨.
- دريدا، جاك، (٢٠٠٠م)، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد وتقديم محمد علال سيناصر، ط٢، المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- ربابعة، موسى سامح، (٢٠٠٠م)، جماليات الأسلوب والتلقي: دراسات تطبيقية، ط١، أربد، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
- زيتوني، لطيف (٢٠٠٢م)، معجم مصطلحات نقد الرواية، الطبعة الأولى، لبنان، دار النهار للنشر والتوزيع.
- شاروني، حبيب، (١٩٧٩)، الاغتراب في الذات، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الصفحات ١٣-٨٢.
- شوقي، سعيد، (١٩٩٤م)، بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، ط١، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع.
- الصائغ، عدنان، (٢٠١٥م)، مجموعة و...، بغداد، دار الروسم.
- عباس، أرشد يوسف، (٢٠١١م)، مفارقة العنوان في قصص زكريا تامر، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد السادس، العدد الثاني، الصفحات ٤٦- ٧٧.
- عشري زايد، علي، (٢٠٠٨م)، بناء القصيدة العربية الحديثة، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب.
- المعتوق، أحمد محمد، اللغة العليا: دراسة نقدية في لغة الشعر، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦.
- ميويك، دي سي، (١٩٩٣)، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة المفارقة وصفاتها، الترميز، الرعوية، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- اليوسفي، محمد لطفي، (٢٠٠٥م)، كتاب المتاهات والتلاشي: في النقد والشعر، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)